المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

قسم الدراسات العليا الشرعية

التَّبْصِرَة

للإمام أبي الحسن علي بن محمد الرَّبَعي اللَخمي

ت:٤٧٨هـ

وتشتمل على

كتاب البيوع الفاسدة ، كتاب التدليس بالعيوب ، كتاب الاستبراء

كتاب بيع الخيار، كتاب العرايا ، كتاب التجارة بأرض الحرب

كتاب الأقضية ، وكتاب الشهادات

دراسةً وتحقيقاً

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه

إشراف فضيلة الشيخ د/عبدالله بن عطية الغامدي

إعداد الطالب

هاشم بن محمد بن حسين ناقور

العام الجامعي ١٤٢٩.١٤٣٠

الجزء الأول

ملخص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فهذا ملخص لرسالة الدكتورة التي بعنوان:" التبصرة ،للإمام أبي الحسن اللخمي ت: ٤٧٨هـ ، من أول كتاب البيوع الفاسدة ، إلى نهاية كتاب الشهادات. وتشتمل على ثمانية كتب وهي:" كتاب البيوع الفاسدة،كتاب التدليس بالعيوب،كتاب الاستبراء،كتاب بيع الخيار، كتاب العرايا،كتاب التجارة بأرض الحرب،كتاب الأقضية،وكتاب الشهادات،دراسة وتحقيقاً". وقد جعلت الرسالة في مقدمة وقسمين:أما المقدمة ففيها أسباب اختيار الموضوع، وخطة البحث.

وأما القسم الأول فهو القسم الدراسي، وفيه مبحثان: المبحث الأول:ففيه تمهيد عرفت فيه بعصر المؤلف من حيث الحالة السياسية والعلمية، ثم بالمؤلف من حيث: نسبه،ومولده، ونشأته، وشيوخه وتلامذته، ووظائفه،وآثاره العلمية، وحياته العملية وعقيدته، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه، ووفاته. المبحث الثاني:عرفت بالكتاب من حيث: دراسة عنوان الكتاب، ونسبة الكتاب إلى مؤلفه، ومنهج المؤلف في الكتاب، وأهمية الكتاب وأثره فيمن بعده، وذكرت موارد الكتاب، ومصطلحات المؤلف فيه .

أما القسم الثاني: فهو قسم التحقيق لثمانية كتب هي: كتاب البيوع الفاسدة، كتاب التدليس بالعيوب، كتاب الاستبراء، كتاب بيع الخيار، كتاب العرايا، كتاب التجارة بأرض الحرب، كتاب الأقضية ، وكتاب الشهادات.

وقد ألحقت بالكتاب فهارس علمية عامة وهي ثلاثة عشر فِهرساً. وقد تبين لي من خلال هذا العمل أهمية كتاب التبصرة بين كتب الفقه بعامة وعند المالكية بخاصة، حيث يتمتع هذا الكتاب بمحاسن ومزايا، تظهر جلية في قدرة مؤلفه : على تدعيم أقواله واختياراته بالدليل من الكتاب والسنة والأدلة العقلية والإجماع، والقواعد الأصولية والفقهية، وإن خالف المشهور من المذهب. ونقل الروايات والأقوال عن الأئمة المتقدمين عليه ، فحفظ لنا كثيراً من أقوال الأئمة الذين فقدت كتبهم . حيث استطاع أن يدون ذلك في كتابه التبصرة بأسلوب علمي رصين ، وعبارة واضحة سهلة، ولا أدل على قيمته العلمية من اعتماد السادة المالكية لكثير من أقواله وترجيحاته . سائلاً المولى القدير أن يجزي الإمام اللخمي خير الجزاء ، وأن يتقبل مني هذا العمل ، وهو جهد المقل. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الباحث

هاشم بن محمد بن حسين ناقور

Study Summary

I give thanks to Allah the God of all worlds and I Ask Allah to give his Pace and grace upon our prophet Mohammed , his family, and mates.

This paper is the summary of PhD study " The Discerning", by Imam Abi Alhassan Allakhmy 478, from the dealing book till the end of Vouching Book ", this study includes 8 chapters: " Unvalid Dealings, Duping with taints' Book , Abstention Book, Dealing under choice' Book, Mirrors Book, Trading at the fight place' Book, Adjugments Book and Vouching Book I partook them by study and checking.

I established the study in an introduction and two sections : for introduction; I included study subject selection reason, and the study strategy.

The first section is the scholarly section, it included two parts; the first part: contained identification to the author's age from the political and scientific condition, then I defined the author, his origin, birth, growing up, teachers, scientific achievements, experimental life, religion, scholarly position, other scholars praise upon him, and his death.

The second part: I identified the book from: Analyzing the title, referring it to its author, the author's approach in the book, the book importance and its affection on the later books, also I identified sources and authors terms.

The second section : is a study of eight books: Unvalid Dealings, Duping with taints' Book , Abstention Book, Dealing under choice' Book, Mirrors Book, Trading at the fight place' Book, Adjugments Book and Vouching Book I partook them by study and checking.

I annexed thirteen general scholarly indexes. Through this work I found the importance of the book " The Discerning" among

jurisprudence books and specially among "Malkia" (an Islamic doctrine) followers as this book has many advantages, which emerged in the authors' (may Allah satisfy with him) efficiency by strengthen his says and selections by evidences from the Holy Quran and Sunnah, original and juristic judgments, even his opinions controverted with the well-known doctrine opinions, and precious imams sayings and telling, whereas we lost their books.

He was able to record that at his book " The Discerning " in a collected scientific way, clear and easy phrases, the greatest evidence of the book' scientific importance is that " Malkia " professed his viewpoints and thoughts.

I ask Allah – The Greatest Governor – The Most Omnipotent to rewind the imam " Allakhmy" with the best rewind, and to accept this work from me, and I think I was the fewest efforts I could make, my last prayer is giving thanks and praises to Allah.

The researcher

Hashim Bin Mohammed Bin Hussein Nagoor

شكر وتقدير

الحمد لله حمداً كثيرا طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم القائل:"**لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ**"(١) وبعد:

فمن منطلق التوجيه النبوي الكريم ، أتوجه بالشكر الجزيل بعد شكر الله **لأ** إلى المشرف على رسالتي د.عبدالله بن عطية الردَّاد الغامدي ، على تفضله بالإشراف علي في رسالتي هذه ، وعلى ما بذله من جهد في توجيهي وإرشادي ، وإلى فضيلة الشيخين المناقشين على قبولهما مناقشة رسالتي هذه ، وعلى ما يبذلانه من توجيه وتسديد .

كما أتوجه بالشكر للمسؤولين بجامعة أم القرى متمثلة بكلية الشريعة ، ومن تعلمنا على أيديهم من المشايخ ، وكذلك كل من أسدى إلى معروفاً أو نصحاً قل أو كثر ، سائلاً المولى **لأ** أن يوفقنا أجمعين إلى ما يحبه ويرضاه ، وأن يجعل عملنا أجمعين خالصاً صواباً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وسلم .

الطالب

هاشم بن محمد بن حسين ناقور

---

(١) ينظر صحيح الترغيب والترهيب للألباني(١/٤٧٧)كتاب الصدقات، باب الترغيب في شكر المعروف ومكافأة فاعله برقم: "٩٥٧" عن الأشعث بن قيس **س** ، وبرقم: "٩٥٩" عن أبي هريرة **س** . وقال الألباني: "رواه أبو داود (٤/٢٥٦) كتاب الأدب، باب شكر المعروف، برقم"٤٨١١"، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك برقم " ٢٠٢٠" ،وقال: هذا حديث صحيح". وقال الحافظ المنذري: روي هذا الحديث برفع" الله "، وبرفع "الناس" . اهـ ، وذكره الشيخ الألباني أيضاً في صحيح الأدب المفرد ص ٩٩ ، وفي الصحيحة برقم"٤١٦" .

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله ،وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم أجمعين أما بعد:

فإن من علامات إرادة الله تعالى بالعبد الخير، أن يوفقه للتفقه في دينه ويحبب إليه هذا الأمر، فقد قال النبي ﷺ:"مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْراً يُفَقِّهْهُ فِي الْدِّيْنِ "(٢)،وقد امتدح الله تعالى أهل العلم وأعلى مترلتهم فقال تعالى: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾(٣)، وقال:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٤)، فهم يتعلمون دين الله ويعلمونه للناس، فيعبد الجميع الله على بصيرة، يعرفون الحلال فيعملوا به، ويعرفون الحرام فيجتنبوه ، فالفقيه نفعه متعدي ، يعْلم ويعَلم، ويبصر البدعة فيجتنبها ويأمر الآخرين باجتنابها.

فالأمة متمثلة بعلمائها الكرام، حملوا مشعل الهدى والنور يعلمون الجاهل ويرشدون الضال، ويفندون شبه المبتدعة وأعداء الدين، ويكتبون المؤلفات في بيان العلم وتقريبه للناس على مر السنين، فتركوا لنا تراثاً علمياً ضخماً، يحتاج من أهل العلم وطلبته، من ينفض عنه غبار السنين ،وفترات الركود العلمي،الذي يصيب الأمة أحياناً، نتيجة الأحداث التي مرّت عليها من تسلط أعدائها أحياناً، وفتنٍ داخلية أحياناً أخرى ؛لذا ينبغي على أهل العلم وطلبته أن يستغلوا إمكانيات هذا الزمان الضخمة، في مجال النشر والتحقيق ؛ليطلع الناس على أقوال العلماء المتقدمين من مصادرها الأصلية .

وإن من هذه الكنوز الثمينة، التي خلفها لنا السلف، كتاب التبصرة للإمام أبي الحسن علي بن محمد الرَّبَعي اللخمي، فإن من يطالع شروحات مختصر خليل في الفقه المالكي ، لا

---

(٢) متفق عليه من حديث معاوية س، ينظر صحيح البخاري(٣٩/١) حديث رقم" ٧١" كتاب العلم ، باب من يرد الله به خيراً يفقه في الدين، وينظر صحيح مسلم (٧١٨/٢)حديث رقم"١٠٣٧" كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة.

(٣) جزء من الآية (١١) من سورة المجادلة .

(٤) جزء من الآية (٩) من سورة الزمر .

يخطئ بصره عبارة تتكرر قال اللخمي ويذكرون أحياناً اسم كتابه التبصرة ، وقد يؤخذ ترجيحه لبعض المسائل كما فعل خليل في مختصره، والذي يعتمد عليه السادة المالكية كثيراً في الفقه .

لذا فإني أحمد الله تعالى على هذه الفرصة، التي أتاحتها جامعة أم القرى، بالموافقة لي ولعدد من الباحثين، بتحقيق هذا الكتاب النفيس ؛لتطلع عليه الأمة ، وينهل من معينه طلبة العلم، سائلاً المولى أن يعين على إخراج بقية التراث العلمي للأمة، إخراجاً طيباً ؛ليستفيد منه الجميع ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وسلم .

أسباب اختيار الموضوع

إن من أهم الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع هي ما يلي :

١. الكتاب ألفه صاحبه على المدونة وهو الكتاب الثاني في الأهمية عند المالكية بعد الموطأ ، فكان كتابه زيادة في خدمة المدونة ، حيث أثرى المدونة بأن ذكر أقوال الإمام مالك من غيرها ، وأقوال تلامذته فقارن وناقش ورجح .

٢. المنهج العلمي الرصين الذي سار عليه اللخمي ، وقوته العلمية، ولا أدل على ذلك من اهتمام فقهاء المذهب المالكي بالكتاب، ومنهم خليل في مختصره فقد كان يعتمد بعض ترجيحاته في مختصرة، وكذا شراحه من بعده.

٣. مكانة المؤلف العلمية ، حيث يعد من العلماء البارزين في عصره ، فقد عاش في القرن الخامس، وهو عصر التطور في المذهب المالكي(٥)، كما ذكر ذلك صاحب كتاب المصطلح عند المالكية .

٤. رغبتي في أن أساهم بجهد في إبراز تراث السلف للأمة،وكل عاقل يحرص أن يكون ذلك من خلال اختيار ما يكون له تأثير، ويكثر استفادة أهل العلم وطلبته منه ؛ليعظم الأجر عند الله تعالى .

ولجميع ما تقدم اخترت هذا الموضوع، سائلاً الله لأ العون والسداد والقبول .

خطة البحث

ينقسم البحث إلى مقدمة وقسمين :

المقدمة : وتشتمل على أهمية المخطوط وأسباب اختياره وخطة البحث.

القسم الأول : الدراسة . وتشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالمؤلف . وفيه تمهيد وستة مطالب:

التمهيد : عصر المؤلف .

---

(٥) التطور هنا بمعناه الشامل يندرج تحته مراحل التفريع، والتطبيق، والترجيح. وتبدأ هذه المرحلة تقريباً من بداية القرن الرابع الهجري، وتتسم بظهور نوابغ المالكية الذين فرعوا، وطبقوا، ومن ثم رجحوا، وشهروا. وتنتهي هذه المرحلة بنهاية القرن السادس الهجري وبداية القرن السابع، أو بوفاة ابن شاس، رابع أربعة اعتمدهم خليل بن إسحاق مؤلف أشهر مختصر في الفقه المالكي. ينظر اصطلاح المذهب عند المالكية ص ٣٤ .

المطلب الأول : اسمه ونسبه ومولده .

المطلب الثاني : نشأته .

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المطب الرابع : آثاره العلمية .

المطلب الخامس : حياته العملية .

المطلب السادس : عقيدته .

المطلب السابع : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه، وفيه فرعان :

الفرع الأول : مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه.

الفرع الثاني : منتقدو اللخمي .

المطلب الثامن : وفاته .

المبحث الثاني : التعريف بالكتاب . وفيه ثمانية مطالب :

المطلب الأول : دراسة عنوان الكتاب .

المطلب الثاني : نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

المطلب الثالث : منهج المؤلف في الكتاب .

المطلب الرابع : أهمية الكتاب وأثره فيمن بعده .

المطلب الخامس : موارد الكتاب ومصطلحاته .

المطلب السادس : نقد الكتاب، وفيه فرعان:

الفرع الأول: مزايا الكتاب .

الفرع الثاني : المآخذ على الكتاب .

المطلب السابع : الدراسات السابقة لكتاب التبصرة .

المطلب الثامن : وصف المخطوط ونسخه .

القسم الثاني : النص المحقق .

ثانياً منهجي في العمل

وكان المنهج العلمي الذي سرت عليه أثناء عملي في التحقيق كالتالي:

١.نسخ الكتاب والأخذ بطريقة النص المختار من النسخ .

٢.إثبات فروق النسخ في الهامش وأغفلت الفروق التالية :

- ما لا أثر له في المعنى .
- الأخطاء الإملائية .

٣.عدم التدخل في نص المؤلف وما كان من تصويب أو تعليق ففي الهامش .

٤.الالتزام بالرسم الإملائي المعاصر، ومراعاة علامات الترقيم .

٥.شرح غريب الألفاظ التي تحتاج إلى شرح في نظري .

٦.التعريف بالمدن والبلاد التي تحتاج إلى تعريف .

٧.التعريف بالفرق والديانات إن وجدت في المتن .

٨.توضيح المصطلحات الفقهية والأصولية .

٩.توثيق الأقوال من كتب أصحابها إن وجدت، وإن كان مفقوداً فمن أي مصدر ذكرها من كتب المذهب .

١٠.توثيق أقوال علماء المذاهب الأخرى من كتبهم .

١١.عزو الآيات إلى سورها مع ذكر رقم الآية مع الالتزام بالرسم العثماني .

١٢.تخريج الأحاديث والحكم عليها ما لم تكن في الصحيحين.

١٣.تخريج أقوال الصحابة والحكم عليها ما أمكن .

١٤.الإقلال من الحواشي إلاّ لما لا بد منه ضمن المنهج المتبع .

١٥.ترجمة الأعلام الواردة في الكتاب إلاّ المشهورين وهم :

- العشرة المبشرون بالجنة **ش** .
- زوجات النبي ﷺ ، ورضي الله عنهنّ .
- المكثرون من الصحابة رضي الله عنهم :" أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، وأنس ابن مالك، وأبو سعيد الخدري، وعائشة".
- الأئمة الأربعة :" أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد" .

- أصحاب الكتب الستة وهم:" البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، والترمذي، وابن ماجة " .

١٦.تعريف الحيوانات والدواب التي تحتاج إلى تعريف إن وجدت .

١٧.استخدام الرموز الآتية أثناء التحقيق:

- القوسين المزهرتين ﴿ ﴾ للآيات القرآنية .
- الأقواس المزدوجة " " للأحاديث والنصوص المقولة، عدا كلام مؤلف الكتاب.
- القوسين المعكوفتين [ ] لإثبات الزيادة أو النقص في المتن ، ولأرقام لوحات النسخ في الهامش الأيسر ، وإذا اجتمع في سطر واحد توثيق لاثنين من النسخ وضعت علامة النجمة * على إحدى النسختين للتمييز بينهما ، وبالنسبة لجميع النسخ ما عدا (ب) فإن الترقيم فيها بالصفحات .
- الخطين المعترضين ـــ ـــ للجمل الاعتراضية .
- القوسين العاديين ( ) لرموز النسخ في الهامش .
- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني ، وعزوها إلى مواضعها من السورة .

١٨.التمييز بلون غامق لعناوين الكتب، والأبواب، والآيات، والأحاديث .

١٩.وضع فهارس تفصيلية ....

- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الآثار .
- فهرس الكتب الواردة في المتن .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الغريب .
- فهرس المصطلحات الفقهية والأصولية .
- فهرس القواعد الأصولية، والفقهية.
- فهرس اختيارات المؤلف وتصويباته .
- فهرس البلدان والأماكن .
- فهرس الأشعار .

- فهرس مصادر ومراجع التحقيق .
- فهرس الموضوعات .

وفي الختام أسأل الله أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، مسدداً متقبلاً ، ويجزي كل من أعان على إنجاحه، وأشرف عليه، وناقشه، ومن يقرؤه، وصلى الله على نبينا محمدٍ وآله وصحبه وسلم .

القسم الأول الدراسة وتشتمل على مبحثين

المبحث الأول التعريف بالمؤلف وفيه تمهيد وسبعة مطالب

التمهيد : عصر المؤلف .

المطلب الأول : اسمه ونسبه ومولده .

المطلب الثاني : نشأته .

المطلب الثالث : شيوخه وتلاميذه .

المطلب الرابع : آثاره العلمية .

المطلب الخامس : حياته العملية .

المطلب السادس : مكانته العلمية وثناء العلماء عليه .

المطلب السابع : وفاته .

المبحث الثاني التعريف بالكتاب وفيه ثمانية مطالب

المطلب الأول : دراسة عنوان الكتاب .

المطلب الثاني : نسبة الكتاب إلى مؤلفه .

المطلب الثالث : منهج المؤلف في الكتاب .

المطلب الرابع : أهمية الكتاب وأثره فيمن بعده .

المطلب الخامس : موارد الكتاب ومصطلحاته .

المطلب السادس : نقد الكتاب، وفيه فرعان:

الفرع الأول : مزايا الكتاب .

الفرع الثاني : المآخذ على الكتاب .
المطلب السابع : الدراسات السابقة لكتاب التبصرة .
المطلب الثامن : وصف المخطوط ونسخه .

التمهيد

عصر المؤلف

التمهيد عصر المؤلف

لقد سبقني بعض طلبة العلم، في تحقيق أجزاء من تبصرة الإمام اللخمي، وقاموا بعمل القسم الدراسي لأطروحاتهم ، فلم يبقوا لمن بعدهم شيء يعمل، ولكن لا بد لي كباحث من القيام بهذا العمل، فلا يخلوا المرء من فوائد تكتسب عند القيام ببحث علمي، ولكونه جزء من متطلبات خطة البحث ؛ لذا أقول مستعيناً بالله تعالى.

الأحداث التي تجري في كل عصر، تعد مؤثر رئيس في حياة الناس ونشاطاتهم ، خاصة أولي الأمر منهم أي: العلماء والأمراء، كونهم معنيون أكثر من غيرهم بالتعامل معها ، فهي توجه لنوع الحياة التي يعيشها المجتمع وأفراده ، فالناظر في زماننا هذا يرى ما تعانيه الأمة، من تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية ، عسكرياً واقتصادياً وفكرياً، مما يترتب عليه، بروز ثقافة الجهاد، والمدافعة العسكرية والعلمية، تجنباً لفساد الأوطان والعقائد والأفكار، قال تعالى :﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾[٦]،وقال:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾[٧]،وكذا حفاظاً على نقاء التوحيد عند الناس ، وبروز الفتاوى الاقتصادية، في بيان ما استجد من معاملات، والتأصيل العلمي لما يصح منها وما لا يصح، وإبراز الاقتصاد الإسلامي ليأخذ مكانته اللائقة به في عالم اليوم.

لذا اقتضى الحديث عن عصر المؤلف أن يكون الكلام من خلال موضوعين ، هما الحالة السياسية في عصر المؤلف، والحالة العلمية .

أولاً الحالة السياسية

عاش المؤلف في فترة حكم بني زيري[٨]، الذين كانوا تابعين أول أمرهم للدولة العبيدية (الفاطميين) لما انتقلوا إلى مصر بعد احتلالهم لها ، ثم استقلوا بأمرهم ، وعاش المؤلف معظم

---

(٦) جزء من الآية (٢٥١) من سورة البقرة.

(٧) جزء من الآية (٤٠) من سورة الحج.

(٨) هو زِيري بن مناد الحميري الصنهاجي جدّ المعز بن باديس ، وزِيْرِيٌّ أول من ملك من طائفته ، وكان زيري حسن السيرة شجاعا صارماً،قتل في شهر رمضان سنة ٣٦٠هـ . ينظر شذرات الذهب (٣٠٩/٤) .

عمره بالتحديد في زمن ، المعز ابن باديس الصنهاجي ت:٤٥٤هـ [٩]، الذي حكم ما بين ٤٠٦ ــ ٤٥٤ ، ومعلوم أن العبيدين كانوا شيعة إسماعيلية [١٠].

قال الذهبي:"وقد أجمع علماء المغرب على محاربة آل عبيد لما شهروه من الكفر الصراح الذي لا حيلة فيه".[١١]

وكان المعز بن باديس ، هو الذي قام بإلغاء المذهب الشيعي في المغرب جملة ، وقد تم له ذلك بعد تطورات كثيرة في سنة ٤٤٠هـ ، فأعلن المعز بن باديس في القيروان[١٢] عودته إلى المذهب السني المالكي، ورحب شعب القيروان بذلك ترحيباً شديداً ، حتى قامت ثورة على من كان في القيروان من الشيعة. وعلى إثر ذلك بعث المعز إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله[١٣]، يطلب منه عهداً بتوليته على إفريقية[١٤] والمغرب[١٥]، فأرسل إليه الخليفة رايات سوداً وخلعاً ، وعهداً بالولاية[١٦].

---

(٩) هو: المعز بن باديس بن منصور بن بُلُكِّين بن زيري ابن مناد الحميريُّ الصنهاجي ، شرف الدولة، وصاحب إفريقية وما والاها ، كان حميد الآثار، محباً للسنة توفي سنة ٤٥٤هـ . ينظر وفيات الأعيان(٢٣٣/٥) ترجمة رقم "٧٣٠" ، وينظر سير أعلام النبلاء(١٤٠/١٨) ترجمة رقم"٧٥" .

(١٠) ينظر معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٥٨ــ١٦١ .

(١١) ينظر سير أعلام النبلاء (١٥٤/١٥) .

(١٢) قال ابنُ الأَثِير:القَيْرَوانُ :مُعْظَمُ العَسْكَرِ، والقَافِلَةُ من الجمَاعَة. وقال ابنُ السِّكِّيت :القَيْرَوانُ: مُعْظَمُ الكَتِيبَةِ، وهو مُعَرَّب كارْوَان. وهي مدينة عظيمة مشهورة بإفريقية ــ تونس الآن ــ،أنشأها عقبة بن نافع سنة خمسين أيام معاوية س،خربت في هجوم الأعراب عليها سنة ٤٤٩ .ينظر معجم البلدان لياقوت الحموي (٤٧٦/٤)، وينظر معجم ما استعجم (٣٣٧/٣)، وينظر نزهة المشتاق(٢٨٤/١)وينظر تاج العروس (٤٢٩/٧)مادة : قير.

(١٣) هو أبو جعفر عبدالله بن القادر بالله أحمد بن إسحاق بن المقتدر العباسي كان جميلاً مليح الوجه، ورعاً ديناً زاهداً، عالماً قوي اليقين بالله، كثير الصدقة والصبر، له عناية بالأدب، ومعرفة حسنة بالكتابة، مؤثراً للعدل والإحسان، وقضاء الحوائج ،توفي سنة ٤٦٧هـ .ينظر شذرات الذهب (٢٨٥/٥) .

(١٤) عمل كبير عظيم في غرب ديار مصر، سميت بإفريقس بن أبرهة ملك اليمن لأنه غزاها وافتتحها، قيل: كان بالشين المعجمة ثم عرّب بالسين ، وقال قوم: معنى إفريقية صاحبة السماء ، وقيل: سميت بإفريق بن إبراهيم عليه السلام من زوجه قطورا، قيل: أهل إفريقية من ولد فارق بن مصر ، وطول إفريقية من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً وعرضها من البحر إلى الشرق... . ينظر الروض المعطار في أخبار الأقطار ص ٤٧ ، فهناك المزيد من التفصيل.

(١٥) تنقسم بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام: الأول: المغرب الأدنى وهو ما يعرف بإفريقية ويمتد من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية أو تاهرت (في الجزائر الحالية) غرباً وعاصمة هذا الإقليم القيروان، وهو يعني كل البلاد التونسية اليوم مع بعض الأجزاء الغربية من ولاية طرابلس بما في ذلك المدينة نفسها وأجزاء من بلاد الجزائر الحالية . الثاني: المغرب

كانت الدولة العبيدية (الفاطمية) عاجزة عن اتخاذ أي إجراء ضده ، فقامت بإقطاع بني هلال[١٧] وبني سليم[١٨]، بلاد إفريقية والمغرب ونقلهم إليها، وهي بذلك تفكر بالخلاص من شرورهم وأذاهم للسكان في الصعيد ، وتعاقب بني زيري على خروجهم عن طاعتها ، ولم تفكر فيما يلحقه هؤلاء من الضرر بإفريقية وأهلها. هجموا على بلاد إفريقية، فقتلوا وخربوا وأفسدوا، وفرّ أهل القيروان إلى تونس وسوسة [١٩] وعم النهب والعيث في البلاد[٢٠].

وكان ممن فرّ منها المؤلف ، ذكر ذلك القاضي عياض [٢١] ـــ عند ترجمته لعبدالله بن عبدالعزيز أبو محمد التميمي [٢٢] ـــ فقال:"وكان أحد الأربعة الفقهاء الذين خرجوا من

الأوسط، ويمتد من بجاية أو تاهرت شرقاً حتى وادي ملوية وجبال تازا غرباً، ويكاد المغرب الأوسط يشكل حالياً بلاد الجزائر الآن. الثالث: المغرب الأقصى ويمتد من وادي ملوية وجبال تازا شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، أو بالتحديد يكاد يشكل المملكة المغربية مع موريتانيا. وهناك مفهوم عام لإفريقية وهو ما يعادل المغرب كله كما ورد عن البكري ووافقه ياقوت الحموي. ينظر الحياة العلمية في إفريقية من ٩٠/٤٥٠هـ (١/٤٦) وما بعدها ، وينظر معجم البلدان (١/٢٧٠) .

(١٦) ينظر معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٦٥ .

(١٧) بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، منهم أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، كانت منازلهم في الحجاز ثم رحلوا إلى مصر واستقروا في الصعيد زمن العبيدين، ثم أقطعهم إفريقية سنة ٤٤٩. ينظر جمهرة أنساب العرب ٢٧٣ ، وتاريخ ابن خلدون (٦/١٥) وما بعدها ، وينظر معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٦٦.

(١٨) بنو سُلَيْم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر، أنزلهم العبيديون الصعيد مع بني هلال، ثم ارتحلوا إلى إفريقيا لما اقطعهم العبيديون أرض إفريقية . ينظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦١ ، وتاريخ ابن خلدون (٦/١٥) وما بعدها ، ومعالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٦٦ .

(١٩) سُوْسَة مدينة صغيرة بنواحي إفريقية بينها وبين سفاقس يوما، خرج منها محدثون وفقهاء وأدباء منهم : يحيى بن خالد السوسي مغربي ، يحدث عن عبدالله بن وهب وغيرهم . ينظر معجم البلدان (٣/٣٢٠) ، وينظر نزهة المشتاق (١/٣٠٢) .

(٢٠) ينظر تاريخ ابن خلدون (٦/١٧- ١٩)، وينظر معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٦٥ .

(٢١) هو أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، الإمام الفقيه الأصولي المحدث اللغوي النسابة القاضي، حافظ المذهب، وعالم المغرب، له التصانيف المفيدة:منها إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم،والشفا، والتنبيهات المستنبطة وغيرها ، توفي مسموماً بمراكش سنة ٥٤٤هـ . ينظر الديباج المذهب (٢/٤٦) .

(٢٢) هو أبو محمد القيرواني الفقيه المفتي العابد، يعرف بابن عزوز نزل المهدية توفي سنة ٤٧٣هـ . ينظر ترتيب المدارك(٢/٣٤٤) ، وينظر جمهرة تراجم المالكية (٢/٧٢٢) ترجمة رقم"٦٥٨".

القيروان بعد خرابها وهم: عبدالحميد المقرئ[٢٣] وأبو الحسن اللخمي، وأبو محمد هذا وأبو الرجال المكفوف[٢٤]...". اهـ

ولكي نتصور تأثير الوضع السياسي على العلم وأهله، فلننظر إلى ما جاء عن الطبقة التي منها المؤلف:" ثم انقضت هذه الطبقة بعد الخمسمائة سنة، و لم يبقَ بالقيروان من له اعتناء بتاريخ ؛لاستيلاء مفسدي الأعراب على إفريقية، وتخريبها وإجلاء أهلها عنها إلى سائر بلاد المسلمين، وذهاب الشرائع بعدم من ينصرها من الملوك، إلى أن منّ الله على الناس بظهور دولة الموحدين[٢٥]، فوضحت بها معالم الدين، وسبل الحق ورسوم الشرع ، فظهر بظهورها بإفريقية العلماء والصلحاء وذلك في سنة الأخماس سنة خمس وخمسين وخمسمائة"[٢٦].

"قضى المعز السنوات الأخيرة من حكمه سجيناً في المهدية [٢٧]وشريط من الأرض حولها، حتى توفي سنة ٤٥٤هـ بعد أن رأى بعينيه خراب بلاده. وخلفه ابنه تميم الذي اقتصرت دولته على المهدية وأجوازها[٢٨]وصفاقس[٢٩]وقابس[٣٠]وجزيرة جربة[٣١].

---

(٢٣) هو: عبدالحميد بن محمد قيرواني معروف بابن الصائغ، كان فقيهاً نبيلاً فهماً فاضلاً،أصولياً، سكن سوسه كان قريناً للخمي، توفي سنة ٤٨٦هـ . ينظر ترتيب المدارك(٣٤٢/٢)، وجمهرة تراجم المالكية(٦١٥/٢) ترجمة رقم"٥٣٨".قال عياض عندما ذكر فرار الأربعة : عبدالحميد المقرئ، وقال عند ترجمته هنا: المغربي، وفي جمهرة تراجم المالكية لما ذكر قول عياض في فرار الأربعة : المهدي .

(٢٤)أبو الرجال القيرواني المكفوف الفقيه، قال عنه القاضي عياض : فقيه فاضل أراه سكن المهدية .ينظر ترتيب المدارك (٣٤٥/٢) ، وينظر جمهرة تراجم المالكية (١٤٢٦/٢) ترجمة رقم"١٤٤٥" .

(٢٥) قامت دولة الموحدين، على يدي محمد بن تومرت الهرغي من قبائل المصامدة البربرية، فهم معظم سكان المغرب الأقصى،وهي قبائل ضخمة ذات قوة وعدد، تمتد من شمال المغرب الأقصى إلى جنوبه، وأخذت الدولة شكلها النهائي على يد عبدالمؤمن بن علي بعد موت ابن تومرت في ١٩رمضان سنة ٥٢٤هـ، ويقال إن اسم الموحدين أطلقه ابن تاشفين .ينظر معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ٢٠٣ـ٢١٣ .

(٢٦) ينظر معالم الإيمان (٢٠٥/٣) في ترجمة محمد بن أبي الفرج المازري المعروف بالذكي الصقلي الأصل.

(٢٧) الْمَهْدِيّةُ : مدينة بإفريقية(تونس)منسوبة إلى المهدي عبيدالله بن القداح الشيعي، اختلف في نسبه حيث= ينسب نفسه إلى آل البيت، ويقول آخرون أنه كان ابن يهودي .والمهدية هي جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصلة بزند ، كانت محصنة تحصيناً شديداً . ينظر معجم البلدان (٢٦٥/٥) ، وينظر نزهة المشتاق (٢٨١/١) .

(٢٨) والجَوْز: بالفَتْح وَسَطُ الشيءِ ومنه حديث عليٍّ س :أنّه من قامَ من جَوْزِ الليلِ يُصلِّي .أي وَسَطُه وجَمْعُه أَجْوَازٌ، وفي حديث أبي المِنْهال: إنّ في النار أَوْدِيةً فيها حَيّاتٌ أَمْثَالُ أَجْوَازِ الإبل.أي أَوْسَاطِها. يقال : مَضَىَ جَوْزُ الليل أي مُعظَمُه . ينظر تاج العروس (٣٧/٨) مادة:جوز .

(٢٩) صَفَاقُس : تكتب بالصاد وبالسين والقاف المضمومة: مدينة من نواحي إفريقية ـــ تونس ـــ جل غلاتها الزيتون

وتعتبر هذه نهاية بني زيري في إفريقية ،رغم أن تميم بن المعز ظل يحتفظ بالمساحة التي ذكرناها من أرض إفريقية ، أما الباقي فقد تقاسمه الهلاليون وبعض زعماء زناته [٣٢] وصنهاجة، وانقسمت البلاد إلى إقطاعيات صغيرة وضاعت وحدتها. وهذا هو الذي أطمع النورمان في سواحل إفريقية، وكانوا قد غزوا صقلية في ذلك الحين، ثم لم يلبثوا أن تطلعوا إلى سيادة إفريقية "[٣٣] .

هذا هو الوضع السياسي السائد، في الفترة التي عاش فيها المؤلف، وفي المحيط الذي عاش فيه وحوله ، ذكرت منه نتفاً من هنا وهناك لإعطاء صورة موجزة تبين طبيعتها ، والمؤلف لم أعثر على جهد له في الأوضاع السياسية فيما اطلعت عليه .

. ينظر معجم البلدان (٢٥٢/٣) ، وينظر تاج العروس (٣٣٢/٨) مادة: صفقس .

(٣٠) قابِس مدينة بين طرابلس وسفاقس ثم المهدية، على ساحل البحر ، فيها نخل وبساتين غربي طرابلس الغرب، وقد نسب إليها طائفة وافرة من أهل العلم منهم : عبدالله بن محمد القابسي وغيرهم . ينظر معجم البلدان (٣٢٨/٤) ، وينظر نزهة المشتاق (٢٧٩/١).

(٣١) جَرْبَةُ :بالفتح ثم السكون، والباء خفيفة...:جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية ـــ تونس ـــ قرب قابس، يسكنها البربر. قال أبو عبيد البكري:... فيها بساتين كثيرة، وأهلها مفسدون في البر والبحر ، وهم خوارج... . قلت: هذا قديماً ولا أعرف حالها الآن . ينظر معجم البلدان (١٣٨/٢) .

(٣٢) زناته هو :زانا بن يحيى بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الأبتر. قال ابن خلدون:علماء النسب متفقون على أن البربر يجمعهم جدان عظيمان وهما:برنس ومادغيس، ويلقب مادغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه: البتر، ويقال لشعوب برنس: البرانس . ينظر الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى (١٢٠/١) وما بعدها .

(٣٣) ينظر معالم تاريخ المغرب والأندلس ص ١٧١ .

ثانياً الحالة العلمية

لقد شاء الله لأ أن تكون القيروان ، حاضرة المغرب كله والأندلس لفترة من الفترات. وقد بناها عقبة بن نافع عام ٥٠هـ ؛لتكون قاعدة لتثبيت الفتح، والانطلاق غرباً لمواصلة الفتوحات ، ولكي تكون مركزاً لنشر الإسلام واللغة العربية ، وهو ما قاله عقبة بن نافع وهو يضع حجر أساسها من أنه يرجوا أن تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر ، ولئن فقدت القيروان بعض إشراقها السياسي كعاصمة في خضم الأحداث التي أفضت إلى تأسيس عواصم جديدة مع انفصال الأندلس والمغربين: الأوسط والأقصى عنها ، إلاّ أنها ما فقدت يوماً مكانتها كعاصمة ثقافية ، ومركز علمي رئيسي في بلاد المغرب كلها[٣٤].

والقيروان أخرجت للأمة جهابذة من كبار فقهاء المذهب المالكي أمثال: الإمام سحنون بن سعيد "ت: ٢٤٠هـ "، وابنه محمد بن سحنون"ت: ٢٥٦" ، ومحمد بن عبدوس "ت:٢٥٠" ، ولو قال قائل يكفي القيروان فخراً أن منها الإمام شيخ المذهب ، مالكاً الصغير عبدالله بن أبي زيد"ت:٣٨٦" ما ظننت أن أحداً يخالفه .

هذا و لم يكن النشاط العلمي في القيروان مقتصراً على الدراسات الشرعية ، بل تعداها إلى الدراسات الأدبية ، وإن كان الاهتمام بها تأخر لأسباب عديدة منها: طول مدة فتحها ، وأن العرب لم يتمكنوا من إحكام سيطرتهم على هذه البلاد ، إلاّ بعد سبعين عاماً من المحاولات الأولى للفتح، حيث كانوا يقومون بالثورات بين الحين والآخر، كما هو معروف تاريخياً ، وأن الاهتمام بالدراسات الشرعية في إفريقية أسهم بطريق غير مباشر في تأخر الاهتمام بالدراسات الأدبية ، وذلك لوجود التيارات الخارجية المتطرفة ، ونشوء البدع والضلالات التي انتشرت في المغرب آنذاك ، فكرس المغاربة جل وقتهم للدراسات الشرعية وحدها، والتفصيل في هذه الأسباب ليس هذا محله، لكن الفترة التي عاش فيها المؤلف الإمام اللخمي، وهي الدولة الزيرية قد بلغت الدراسات الأدبية والنشاط الأدبي فيها أوجه، والذي يظهر أيضاً أن الدراسات الأدبية واللغوية ، لم تكن متساوية مع الدراسات الشرعية في كمها ونوعها. [٣٥]

---

(٣٤) ينظر الحياة العلمية في إفريقية (١/١٤٥) وما بعدها ، د. يوسف حوالة .

(٣٥) ينظر الحياة العلمية في إفريقية (١/١٥٠) ، (٢/١٣٦ــ١٤٧) .